آلة السمسمية في الثقافة الموسيقية الشعبية الأردنية

نبيل الدراس: قسم الموسيقا، كلية الفنون الجميلة، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

تاريخ الاستلام: 6 /11/ 2009 **تاريخ القبول:** 24 /2/ 2010

ملخص

تتناول هذه الدراسة آلة السمسمية كواحدة من آلات الموسيقى الشعبية التي تمثل ذلك الأثر المادي الفني في حياة المجتمع البحري الأردني. وتنبع أهمية الدراسة من ضرورة التعريف بتلك الأدوات التي تلعب دورا فنيا في الثقافة الشعبية للمجتمع الأردني، والتي غفلت الدراسات عن توثيقها، أو إعطائها الاهتمام المطلوب. اقتصرت أهداف هذه الدراسة على : التعريف بالملامح التشكيلية لآلة السمسمية وأجزائها، والتعريف بدورها الوظيفي في الثقافة الموسيقية لسكان مدينة العقبة الأردنية التي تحتكر هذه الآلة في ثقافتها الموسيقية. تعتمد الدراسة المنهج البنائي – الوظيفي لدراسة الآلات الموسيقية. وقد صنفت عناوين الدراسة طبقا لأهمية مضامينها، وأضيفت إليها الصور التوضيحية، والمدونات الموسيقية التي تعزز تسجيل الواقع الشعبي للآلة وللموسيقى الصادرة عنها. وقد خلصت الدراسة إلى بعض النتائج والتوصيات ذات العلاقة.

The «Simsimya» in Jordanian Musical Culture

Nabil Al-Darras, *Department of Music, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This research represents Al- Simsimya as one of the popular musical instruments that has an artistic material impact in Jordan's marine society. The importance of this study is that it draws attention to one of these objects that play an important artistic role in Jordan's cultural popularity which many studies have ignored documenting or giving the proper concern. The main objectives of this research are to define the plastic features and parts of this instrument, and to concentrate on its functional role in Aqaba's musical culture. This research adopts the Functional-Constructional Methodology for studying musical instruments. The topics were prioritized according to contents importance. Pictures and musical records were also added to this study to reinforce the recording of this popular instrument and its musical function. Finally, the research was concluded by some results and recommendations related to this study.

المقدمة

تمثل الآلات الموسيقية الشعبية والموسيقى الصادرة عنها مكانة هامة في الثقافة الفنية لأكثرية شعوب العالم، ومنها الشعب الأردني. فهي واحدة من أنواع الإبداع الفنية الخاصة التي تعكس من خلال تشكيلها الفني، ومادة صناعتها، وتقنية العزف عليها، وإمكانياتها التعبيرية الموسيقية ذلك الوعي الفني في حياة الشعوب بما في ذلك من إبراز لخصوصية التفكير الموسيقي، و لسمات الثقافة المادية، إضافة إلى تحديد نموذج الرؤية الجمالية لهذا الشعب.

لقد تشكلت الآلات الموسيقية الشعبية والموسيقى الصادرة عنها بفضل من الأجيال المتعاقبة على مدى القرون كظاهرة جمالية أصيلة، مقدمة نفسها لاهتمام العلوم والابداع الموسيقي المعاصر. وآلة «السمسمية»، إحدى الآلات الموسيقية الشعبية التي تمثل ذلك الأثر المادي الفني في حياة المجتمع البحري الأردني، والتي كان لها الحظ الأوفر والأكبر من ناحية الثبات والاستمرار في وجدان أهل العقبة[1] الذين أستهوتهم هذه الألة لدرجة العشق، حتى باتت الآلة الرئيسة في كافة مناسباتهم الإجتماعية والدينية وحتى السياسية.

ولعل التعريف بهذه الآلة واحياء فنها ودراستها ومعرفة خصائصها الموسيقية ما يساعد في الحفاظ عليها .

مشكلة الدراسة:

يتحدث سترايز في مقالة له حول دراسة الالات الشعبية وموسيقاها ، بأن «الدراسات التفصيلية للالة وللموسيقا الصادرة عنها قد تعطي نتائج هامة . ولكن يتساءل إن كان بإمكان الفولكلوريين الموسيقيين الاجابة على بعض الاسئلة مثل : السبب في بروز هذه الظاهرة الموسيقية أو تلك في منطقة ما ، وما هي الظروف الطبيعية والاسباب الاجتماعية التي تؤدي الى إمكانية تطور تلك الظاهرة الملفته للانتباه أو انقراضها . فليس من الكافي الكشف ودراسة ظاهرة معينة في بداية البحث العلمي, إذ لا بد من إيجاد المسببات»[2].

إن دراسة الآلات الموسيقية الشعبية في الأردن لا تزال في خطواتها الأولى. وباستثناء بعض المعلومات البسيطة المدونة هنا وهناك لم نستطع الوصول إلا إلى دراستين في موضوع آلتي الربابة[3] والمهباش[4]. أما بالنسبة لآلة السمسمية فلم يطرح موضوعها إلا في الندوات غير الموثقة[5]، وخاصة الملتقى العالمي الأول لآلة السمسمية الذي أقيم عام 2006 في مدينة العقبة الأردنية بالتعاون بين وزارة الثقافة و اليونسكو ومفوضية الإتحاد الأوروبي في عمان و بإشراف الفنان صخر حتر.

ومن هنا فقد آثرنا في هذه الدراسة أن نتناول ظاهرة آلة «السمسمية» في المملكة الأردنية الهاشمية، كمميز واضح للثقافة الموسيقية في واحدة فقط من مناطقه، وهي العقبة، تلك المدينة الأردنية الوحيدة التي تحتكر وجود واستخدام آلة السمسمية.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بآلة السمسمية ووظيفتها الفنية في الحياة الموسيقية للمجتمع الأردني.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من ضرورة التعريف بتلك الأدوات التي تلعب دورا فنيا في الثقافة الشعبية للمجتمع الأردني، والتي غفلت الدراسات عن توثيقها، أو اعطائها الاهتمام المطلوب. وما هذه الخطوة إلا محطة على طريق التواصل مع توصيات المؤتمرات والندوات المحلية والعربية والعالمية ذات العلاقة بموضوعات الثقافة الفنية لدى شعوب العالم.

من ناحية أخرى، سيكون إبراز الدور الوظيفي لهذه الأداة في حياة المجتمع الأردني وتوثيق حرفية صناعته من الأمور التي قد تقود الى توصيات ومقترحات تفيد المهتمين من موسيقيين وحرفيين في هذا الاطار.

منهجية الدراسة:

إن الفهم الحقيقي لجوهر الآلة الموسيقية الشعبية التي تعتبر إحدى وسائل إنتاج الفولكلور الموسيقي «غير ممكن دون الأخذ بعين الإعتبار كامل المضمون الثقافي التاريخي»[6]. وهنا يعمد الباحث إلى اختيار المنهج البنائي-الوظيفي في إعداد هذه الدراسة، وذلك من خلال المسح الميداني للمنطقة التي تنتشر فيها آلة السمسمية، وإجراء مقابلات مع عازفي و صانعي الآلة. إضافة لذلك، استفاد الباحث من الأفكار المطروحة في الدراسات العلمية التي تتناول الآلات الموسيقية الشعبية والموسيقى الصادرة عن تلك الآلات.

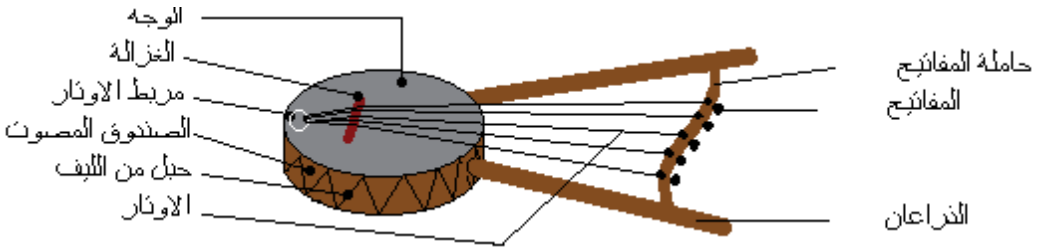

الوصف والتشكيل.

ويبين الباحث عبد الله المنزلاوي

تتشكل آلة السمسمية من:

الصندوق المصوت(الصحن، القدح):

وقد رصدناه لدى فرقة العقبة أثناء انعقاد الملتقى العالمي الأول لآلة السمسمية في مدينة العقبة عام 2006 ، ولا يزال حتى الآن على عدة أشكال، منها:الدائري، والبيضاوي، والسداسي، وشبه المنحرف. يشير عبد الله كرم المنزلاوي في كتابه «التراث الشعبي في مدينة العقبة»[7] إلى ان السمسمية لا زالت تصنع في العقبة يدويا ومن قبل العازف نفسه، ولم يتغير شكلها عن السابق كثيرا، وتعتمد على ذوق العازف ومهارته في الصنع. وقد أبرز شكلين للصندوق المصوت، سمّاهما: «الهنابة» للشكل الدائري، و «القدح» للشكل البيضاوي.

ويفيد عازف السمسمية ومشرف فرقة العقبة للفنون الشعبية السيد عبد الواحد، بأن الخشب ، هو المادة الرئيسة المستخدمة حاليا في صناعة الصندوق. وبالطبع، قد لا يستغني الصانع عن بعض المواد الإضافية لإكمال صناعة آلته، كاستخدامه لمادة الغراء للصق أجزاء الصندوق المصوت، والليف لشد جلد وجه الصندوق، والمسامير المعدنية كبديل

للغراء والليف). ويصف المنزلاوي الصندوق على أنه كان "يصنع سابقا من جذع الشجر المجوف، وله إطار خشبي غطي من جانبيه بجلد ماعز أو جلد جمل بنفس طريقة الربابة."، وهذا ما يؤكده الباحث اليمني فهد الشعيبي في إشارة إلى أن الصندوق المصوت للسمسمية أيضا «عبارة عن قطعة خشب، إلا أنها مأخوذة من جذع شجرة، حيث يتم نحتها و تفريغها من الداخل على هيئة «قدح».... قطر فوهته حوالي 37 سنتمتر»[8]. و في نفس الوقت لا ينفي عبد الواحد استخدام المواد الأخرى في تصنيع الآلة، فعلى سبيل المثال، يشير إلى الاستفادة سابقا من العبوات أو الأطباق المعدنية التي كانت استخداماتها الأصلية للطعام والطهي المعدنية كصندوق مصوت:

كما وتشير بعض المشاهدات إلى أن بعض العازفين من الثقافات الأخرى، يتخذون الجسم المصوت لآلتهم من صدفة سلحفاة البحر:

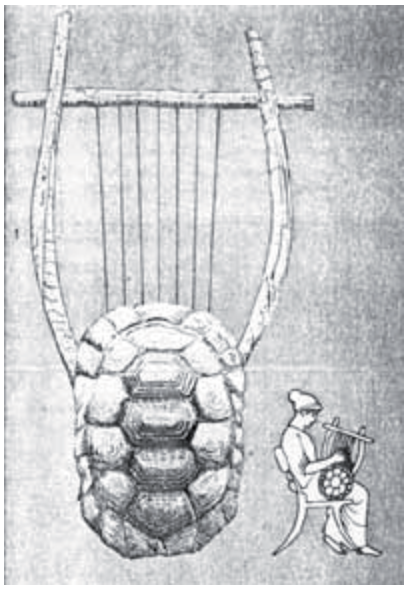

الوجه: وهو وجه الصندوق المصوت ، ويذكر الصانعون أنه على عدة أنواع، فمنها ما يؤخذ من جلد سمك الهضروم -ballafish- أو البقر، أو الخاروف، وهذه خاصة بالصناديق الدائرية أو البيضاوية الشكل، إذ يشد على الصندوق بواسطة حبل من الليف أو الجلد .أما في حالة الوجه المصنوع من الخشب المعاكس الرقيق ، فيتم عمل فتحة

أو اثنتين لإخراج الصوت تسمى كل منها «الشمسية»، على أن يثبت الوجه إما بالمسامير وإما بالغراء. أما النوع الثالث فيغطى الصندوق بصفيحة معدنية تثبت بالمسامير، أو يكون الصندوق بحد ذاته عبارة عن «علبة» معدنية.

الذراعان(السناد و الحمال، المداد): وهما ذراعان خشبيان مستقيمان خارجان من الصندوق بشكل مائل من خلال فتحتين علويتين مصنوعتين في الحافة العليا للصندوق بقطر يتراوح ما بين 4 و 7 سم، وبحيث تكون المسافة بينهما عند خروج الذراعين حوالي20 سم، لتصل المسافة بين طرفي الذراعين عند حاملة المفاتيح إلى 50 سم.

حاملة المفاتيح(الفرمان، الحمالة): وهي عبارة عن ذراع خشبي، أما مستقيم أو منحني باتجاهين على شكل حرف S مبطوح، تشد إليه الأوتار عن طريق اللف. أو وقد تكون تلك العصا ذات ثقوب تدخل فيها المفاتيح «الملاوي».

المفاتيح(الملاوي): وهي عبارة عن قطع خشبية مخروطية الشكل وتنتهي برأس مسطح كما هو الحال في ملاوي آلة العود ، حيث يدخل طرف الجزء المخروطي داخل ثقوب حاملة المفاتيح، فتربط به الأوتار ليصار إلى شدها. وقد استبدلت في نهاية السبعينيات مفاتيح الاوتار بمفاتيح جيتار أو مندولين .

الأوتار(السلك): يتراوح عدد أوتار آلة السمسمية ما بين خمسة و أربعة عشر وتراً، وهي أوتار معدنية رفيعة يحصل عليها الصانع من أسلاك الشد الفولاذية المجدولة ، حيث يفك العازف الجدلة ليحصل على مجموعة من الأوتار، و يكون طولها ما بين 60-80 سم ، وتربط ما بين مربط الأوتار مرورا بالغزالة إلى المفاتيح بحيث يكون مستواها موازي لوجه الصندوق المصوت. هذا وقد يطلق العازفون على الأوتار التسميات التالية من اليمين إلى الشمال: البومه، المتكلم، المتحدث، المجاوب، الشراره[9]. تجدر الإشارة إلى أن السمسمية ذات الستة أوتار هي الأكثر استخداماً ، علما بأن هنالك محاولات جارية لتطوير السمسمية بزيادة عدد الأوتار.

الغزالة(الفرس): وقد تسمى أيضا الجسر: وهي عبارة عن قطعة خشبية مستطيلة قطاعها العرضي على شكل مثلث، ترتكز قاعدتها على وجه السمسمية لتمر الأوتار من فوقها، ووظيفتها رفع الأوتار عن وجه الصندوق لتعطيها حرية الاهتزاز

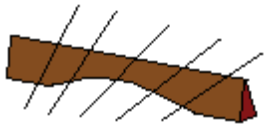

مربط الأوتار: وهي حلقة معدنية تثبت في اسفل الصندوق المصوت لتربط بها الأوتار.

العزف على آلة السمسمية

حمل الآلة:

يقوم عازف السمسمية بحمل الآلة في وضعين من أوضاع الجلوس: الجلوس الأرضي "التربيع"، والجلوس المرتفع ، كان يجلس العازف على كرسي أو ما شابهه في الارتفاع. يحمل العازف آلته في حجره بشكل رأسي، بحيث يكون الصندوق المصوت إلى جانب الصدر مرتكزاً على الفخذ الأيسر والأذرع للأمام ، وتحتضن ذراعه اليسرى الآلة، بينما يضع أصابع كفه اليسرى على الأوتار قريباً من حاملة المفاتيح، ويمسك العازف مضراباً من البلاستيك (أو قرن ثور أو سعف النخيل) بأصابع يده اليمنى، وإذا كان العازف أشولاً فيكون الوضع معكوساً.

ضبط الأوتار

تضبط أوتار آلة السمسمية بشكل سلمي ، أي بتتابع درجات السلم المراد عزفه ، ويكون ضبط الأوتار متدرجاً من الصوت الغليظ في أعلى الأوتار هبوطا إلى الصوت الرفيع في أسفلها[10]، وغالباً ما تضبط الأوتار على تتابع درجات مقام الراست، أو الراست المصور، وهذا الضبط يمكّن العازف من التعامل مع مقامي الراست والبياتي مباشرة في حدود درجاتهما الست أو الخمس، دونما أية صعوبات. فالنموذج اللحني لأغنية(يالخيزرانة) من مقام الراست المصور على درجة الجهاركاه يتحرك بين الخمس نغمات الأولى في المقام:

أما النموذج اللحني لأغنية(لانصب شراعي العال)،فهو من مقام البيات المصور على درجة النوا، والسعة النغمية له (6 نغمات)، هي أيضا الأولى من مقام الراست.

وعليه سيتمكن العازف من أداء كلا اللحنين على آلة واحدة ذات ستة أوتار ومضبوطة على مقام الراست، مع الأخذ بعين الإعتبار أن درجة ركوز اللحن الأول ستكون على الوتر الأول، بينما ستكون درجة ركوز اللحن الثاني على الوتر الثاني.

وقد يضبط العازف أوتار آلته لتناسب التحويلات المقامية الموجودة في بعض الأغاني ويمكن للعازف ايضاً ان يخفض الوتر الخامس مقدار نصف درجة ليعزف مقطوعة ما من مقام الصبا، او ان يرفع الوتر الثالث مقدار ربع درجة ليعزف اغنية من مقام العجم وهكذا.

وفي الآلات التي يزيد عدد أوتارها عن ستة أوتار، يكون ضبط الأوتار سلَّميا عادياً، أي بتتابع درجات السلم حتى يكتمل ضبط جميع الاوتار. تجدر الإشارة إلى أن عازف السمسمية يقوم بأداء المقطوعة او الاغنية حسب مقام واحد، ولا يستطيع الانتقال إلى مقام اخر داخل العمل، وانما قبل البدء في العزف يقوم بضبط اوتار السمسية حسب المقام الذى سيتم العزف عليه. واذا ما تغير المقام، يتوقف عندها عازف السمسية عن الأداء لاعادة الضبط. ومن اهم المقامات الموسيقية شائعة الاستخدام لالة السمسية والمتعارف عليها هي: الراست، الكرد، البياتى، الحجاز، العجم، النهاوند، والهزام.

طريقة العزف :

يبدأ العازف بضرب جميع الأوتار بالمضراب، ثم يقوم برفع أحد أصابع يده اليسرى عن الوتر الذي يريد أن يسمع صوته في حين تمسك بقية الأصابع الأوتار الأخرى لمنعها من الاهتزاز، فيهتز الوتر الحر مصدراً صوتاً، وهكذا يرفع أصابعه عن الأوتار تباعاً وحسب السياق اللحني للأغنية التي يريد عزفها.

وعادة ما يقوم العازف بأداء تفعيلات إيقاعية خاصة على النغمة تشكل زخارف إيقاعية ، عدا عن إيقاع اللحن الأصلي، مما يعطي عزف السمسمية لوناً مختلفا عن الآلات النقرية الأخر.

يتضح مما تقدم، بأن آلة السمسمية في العقبة تنتمي طبقا لتصنيف هورن بوستيل و كورت زاكس[11] من حيث مادة الصناعة إلى مجموعة الآلات الخشبية، أما من حيث مصدر الإهتزاز الصوتي فتنتمي إلى مجموعة الآلات الوترية، في حين أنها من حيث طريقة العزف تنتمي إلى الآلات النقرية.

الوظيفة الفنية :

السمسميه آلة معروفه ومشهوره فى العديد من مدن الدول العربية الواقعة على حوض البحر الاحمر. فإضافة إلى مدينة العقبة الأردنية، نجدها على سبيل المثال لا الحصر، في المدن المصرية (رأس غارب، الغردقة، سفاجا، القصير) وفي مـدن القنـاة (السويس، الاسماعيلية، بورسعيد) وجنوب وشمال سيناء، وفي مدن المملكة السعودية (ينبع ، جدة ، املج، بدر، رابغ).

والسمسمية أيضا آلة معروفة في كثير من بلدان العالم على أنها من الآلات التقليدية القديمة ، إذ تعود في أصولها إلى آلة الكّنارة، حيث اقدم ظهور لها في العالم القديم كان عند السومريين (حوالي 2700 ق م) ، وكانت تسمى في العصر البابلي (Kinnarum) وانتقلت هذه التسمية إلى اللغات المصرية القديمة والعبرية والآرامية ، وسميت عند العرب باسم "كرانة" ، وفي اللغات الأوروبية تعرف هذه الآلة باسم (Kithara) وهو تحريف لكلمة كنّارة ، وتطور عنها آلة "الهارب Harp " ونجد لها في وقتنا الحاضر اكثر من اسم سواء في الغرب او في الشرق، ففي اوروبا يطلق عليها حالياً " الهارب القديم Ancient Harp " أو " الليرا Lyra ". اما في الشرق الاوسط حاليا

فتعرف أنواعها بـ ''السمسمية'' و ''الطنبورة'' و ''السلك''.

تشير الدلائل ان السمسمية قدمت للعقبة من مصر او من الجزيرة العربية ،وفي الواقع يصعب تحديد فترة قدومها ، وتفيد المعلومات التي حصلت عليها من أهالي العقبة والصيادين بشكل عام ومن الباحثين الذين درسوا التراث الشعبي العقباوي، أن السمسمية قد تكون دخلت للعقبة منذ مطلع القرن التاسع عشر - وهو تاريخ إنشاء مدينة العقبة الحديثة - إما عن طريق الصيادين العقباويين الذين اقاموا علاقات صداقة قوية مع الصيادين المصريين والحجازيين أو عن طريق النسب الذي كان يربط أهل العقبة مع المصريين والحجازيين أو عن طريق التجار الذين تبادلوا التجارة في العقبة وخارجها ، ويقال أن أول من ادخل السمسمية الى العقبة عبد الحميد أبو الدوح . إلا أن نادية الخضيرات ترى بأن السمسية قد «دخلت بداية هذا القرن من الجزيرة العربية عن طريق أحد الحجازيين ويدعى (عيد الجهني)، ثم انتشرت بعد ان تعلمها أهالي المدينة»[12]. وقيل ان أول من صنع السمسمية في العقبة هو (طلب صالح).

ترتبط السمسمية في العقبة بحياة أهالي المدينة وتراثهم، فهي أنيسة العقباوي ورفيقة دربه ونديمه في البر والبحر، وقد أصبحت علما من معالم فلكلوره وتراثه، بعد أن ارتبطت ألحانها وأغانيها بالبحر الأحمر بشكل كبير:

يالعقبة يا عروس البحر

يالعقبة يا عروس البحر يا مكلله بكليل اخضر

يا مزوقة بنخيل وزهر لعريسك البحر الاحمر

يالعقبة يالعقبة يا عروس البحر

يا زينه يا ام شط جميل يا ام الكرم والحنيه

نسمتك تشفي كل عليل والقعده على شط الميه

ليكي القلوب تعشق وتميل حتى العزول صفى النيه

يالعقبة يالعقبة يا عروس البحر

يا بنت بلدي انا بحري وعقباوي وبحب العوم

هواكي قلبي من بدري وانا ناوي أحبك دوم

وما دام الموجة بتجري راح احبك يوم زود عن يوم

يالعقبة يالعقبة يا عروس البحر

محروسة يا بلدي من العين ويرعاكي حسين الباني

يالعقبة فين زيك فين يا ام المراكب وموانى

وبحُبك يا ملكنا حسين حنزيد ونعلي المباني

يالعقبة يالعقبة يا عروس البحر

ولا يستطيع المستمع إلا أن يعجب من ذلك التناغم الرائع بين أمواج البحر والحان السمسمية، فمنظر البحر ورماله البيضاء، وصوت الطيور، وحركة أشجار النخيل، ما يضفي مع نغمات السمسمية جوا ساحرا خلابا.

لقد فرض إنسان العقبة هذه البيئة على حسه الموسيقي الذاتي أو المكتسب. ففنونه الموسيقية الشعبية من معزوفات و أغاني، ودبكات، إضافة إلى تلك الفنون الموسيقية التقليدية العربية تعكس قدرته على التفاعل والإبداع الخلاق لجمالية هذا الفن، وتخلق منه نموذجا معبرا ومميزا.

تقوم السمسمية في التراث العقباوي بمرافقة الغناء كوظيفة رئيسة. ومن النادر الوصول إلى قوالب موسيقية آلية بحتة لهذه الآلة، باستثناء تلك المعروفة تقليديا(كلاسيكيا) في الموسيقى العربية ، كالدواليب(الثلاثية)[13] والتقاسيم التي تستخدم في بدايات الاغاني او المواويل لاثارة المخيلة عند العازف والمستمع على حدٍ سواء. ومن المعروف أن قالب التقاسيم يعتمد على مقدرة العازف في تكوين الجمل الموسيقية المرتجلة، ومنه ثلاثة أنواع: ارتجال حر ، وارتجال موزون ، وارتجال حر بمصاحبة الإيقاع . يقوم العازف بعزف جمل موسيقية تبدأ بمقدمة من جنس الأصل

من المقام ، واما في الجملة الثانية فإنه يستعرض مهاراته وقدراته في العزف من خلال تفاعل جمل اكثر حيوية ، ويستخدم مساحة صوتية اكبر قد تشمل جميع الدرجات الموسيقية المتوفرة على آلة السمسمية، ومن ثم يعود بجمل متهاوية ليختتم " التقسيمة " بدرجة الاستقرار في جنس المقام الاصلي . وعلى الرغم من ذلك فهي(السمسمية) في الوقت الحاضر عادة ما تؤدي المقدمة والفواصل الموسيقية أثناء عملية أداء الأغاني.

أما في الغناء، فترتبط آلة السمسمية في الثقافة الموسيقية لأهل العقبة بشكل رئيس بتلك الأغاني التي تعكس الواقع الجغرافي للمدينة وتأثيره على نمطية النشاط السكاني. ونظرا لأن العقبة مدينة بحرية، فإن التقاليد المتأصلة لا تدع مجالا للشك في أن يكون بعض من هذه التقاليد مرتبطة بأغاني العمل في البحر. ولذلك نراها كثيرا ما ترافق أغاني العمل ذات الوظائف المختلفة عند الصيادين العقباويين كالتغلب على التعب ، و المساعدة في إنجاز عمل جماعي يحتاج لتنظيم الأدوار أو توحيد الحركة. من ناحية أخرى، يشمل الغناء في العقبة أغاني للبحر ، المواويل[14]، الغناء المصاحب لرقصتي الرفيحي والعرضة ، السحجة العقباوية ، والغناء الديني .هذا بالإضافة إلى القوالب الغنائية الشعبية الأردنية من أغاني الدبكات ، الهجيني ، الحداء والتراويد ، السامر والسحجة والدحية ، الشروقي ، أغاني الختان، التحانين ، النواح ، وأغاني الأطفال

ففي أغاني العمل البحري نجد البحارة يغنون للقطيرة[15] عندما يقومون بأعمال الصيانة لها، إذ يرددون نوعاً من الغناء ، لإثارة الحماس والهمة عند الرجال ولتوحيد حركتهم وقوتهم لدفعها و إخراجها من الماء لصيانتها وإزالة ما علق بها من طحالب:

يا جربا لا تجربّي يسلط عليك ربّي

يا جربا يا جربونه لاطليكي بالصابونه

وكذلك كانوا يرددون أغنية أخرى لصيانة المراكب :

العنزة الجربا أكلها الذيب العنزة الجربا أكلها الذيب

وقد يكون الغناء مرافقا لبعض الرقصات الجماعية للرجال مثل العرضة والرفيحي ، وهي رقصة مصاحبة بالغناء وإيقاع «الطيران»[16] ، اصلها حجازي، ويؤكد السيد صخر حتر بأنها كانت موجودة في العقبة قبل دخول الأشراف وجيوش الثورة العربية الكبرى لها عام 1917، حيث قيل أن رجال العقبة استقبلوا الأشراف بهذه الرقصة.

أما قصائد العرضة والرفيحي فلها نفس اللحن وهي موقعة بإيقاع ثنائي، واللحن مبني على درجات جنس الراست:

ومن اشهر قصائد العرضة والرفيحي في العقبة :

يا الله اليوم وجه جاهنا — يكفينا شر وردة النحوس

يا الله اليوم نطلبك الستيرة — وان بلينا عوايدك الجميلة

حياك الله يا صاحب الجلالة — عز الملوك الهاشمي

سلام مني والسلام — على المليك الهاشمي

حياك الله يا صاحب الجلالة — عز الملوك الهاشمي

لايرتخي سمارها — شب الحرايب[17] يا عبد الله

وابوك قبلك ما يخاف — يفرح بشبت نارها

فيصل وعبد الله وزيد — كم ديرة علوا بناها

عبدالله حنا عزوتك — عالموت الاحمر دزنا

عبد الله حايم بالسما — يدور نصر المسلمين

نعاهدك والرب يعلم — حنا على العهد القديم

جيناك يا عويد بزفه — بين البنادق والرماح

والصقر ما يلطم بكفه — ما يلطم الا بالجناح

وهناك أيضا السحجة العقباوية : وهي تشبه الرفيحي من حيث الاصطفاف إذ يقف الرجال في صفين متقابلين على رأس كل صف ناقر طار ، ويقف القائد في الوسط بينهما ، واما الاختلاف يكون بالحركات والغناء ، إذ يتحرك أحد الصفين باتجاه الآخر ويعود بينما يتحرك الثاني باتجاهه .وبناءً على تعليمات القائد التي يؤديها بالسيف ، يجلس الرجال في أحد الصفين القرفصاء ثم يقفون ، ثم يأتي الدور على الصف الآخر وقد يجلس الصفين معاً وهكذا ، وأما الغناء المصاحب للسحجة فيكون أسرع وبلحن مختلف عن لحن العرضة والرفيحي. والمثال التالي يوضح مطلع ولحن **السحجة:**

سبب عيني من عيونك — سببها أنت ما غيرك سببها

وأنا حطني في جوف نونك — عسى العين يكسيها هدبها

تفخر العقبة اليوم بوجود مجموعة من شبابها الذين يحافظون على تراث مدينتهم الموسيقي الغنائي ويحاولون تطويره من خلال تشكيل فرق فنية تعنى بهذا التراث، وتنشره داخل الوطن وخارجه من خلال ماركاتها الفنية. واذكر هنا على سبيل المثال فرقة العقبة البحرية للفنون الشعبية ، جمعية العقبة للثقافة والفنون والتراث (فرقة العقبة للفنون الشعبي) ، وفرقة شباب الاحيوات.

وفي وصف لإحدى حفلات فرقة العقبة البحرية للفنون الشعبية في مدينة إربد، تقول جريدة «العرب اليوم» الصادرة بتاريخ 9—2007 ، بأن الفرقة التي ظهر بعض أعضائها بلباس البحارة قد حولت ساحة مدينة الحسن الرياضية لحلبة من الرقص والغناء على وقع موسيقى تراثية وشعبية متنوعة امتدت لقرابة الساعتين في احتفالية اربد مدينة الثقافة الأردنية لعام 2007 .

يقول نائب رئيس الفرقة محمود الغرابلي أن الفرقة تعتبر من الفرق المميزة والتي تهتم بالمحافظة على التراث البحري المميز, نظرا لاهتمامها المباشر وتركيزها على أداء اللوحات والرقصات البحرية بمصاحبة آلة السمسمية والتي تتميز بنعومة صوتها وعذوبة لحنها.

هذا وقد عرفت العقبة منذ عشرينات القرن العشرين وحتى الآن مجموعة من العازفين على آلة السمسمية، ارتأى الباحث تسميتهم طبقا لرواية السيد عبد الواحد الذي اعتمد مبدأ الجيل، وهم:

الجيل الأول، ويضم:

1 - حسن(محمد) الشرقاوي، ويعتبر أول عازف على السمسمية في العقبة.

2 - علي حسن الشرقاوي

3 - عبد الحميد أبو الدوح الذي لم يستقر في العقبة إلا لفترة بسيطة.

4 - عيد الجهني، وهو صياد سمك من الحجاز.

الجيل الثاني، ويمثله:

1 - طلب عباس، حيث كان عازفاً ماهراً وصانعاً للسمسمية ومغنياً بارعاً.

2 - حسن طبطب(دراوشة)

3 - سلمان الحجازي

4 - جمعة شحاتة

الجيل الثالث، ويمثله عبد الواحد(أبو عبدالله)

الجيل الرابع، ويمثله:

1 - محمد عزمي

2 - حمدي ماي

3 - عبدالله أبو عوالي

4 - أحمد حمزة

5 - حسين النابلسي

6 - محمد عياش

7 - سفيان جاسر

8 - محمد عبد

تجدر الإشارة إلى أنه وبهدف بناء جيل جديد من العازفين على آلة السمسمية، فقد عقدت فرقة العقبة وبالتعاون مع جمعية العقبة للثقافة والفنون التراثية دورة تدريبية، هي الأولى، لعدد من الطلبة الراغبين في تعلم العزف على آلة السمسمية(23 طالبا)، والذين تتراوح أعمارهم بين 25-9 سنة، وذلك في الفترة بين 22 شباط – 22 نيسان 2009 .

نتائج الدراسة:

خلصت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- تنتمي آلة السمسمية طبقا لتصنيف هورن بوستيل و كورت زاكس من حيث مادة الصناعة إلى مجموعة الآلات الخشبية، أما من حيث مصدر الإهتزاز الصوتي فتنتمي إلى مجموعة الآلات الوترية، في حين أنها من حيث طريقة العزف تنتمي إلى الآلات النقرية.
- آلة السمسمية واحدة من آلات الموسيقى الشعبية الأردنية، وتعد مدينة العقبة في الأردن الحاضن الرئيس لهذه الآلة.
- على الرغم من أن العقبة ليست بالموطن الأصل لآلة السمسمية، إلا أت تصنيع الآلة يتم على يد العازفين من أبناء العقبة، وبما يتوفر من خامات وإمكانات متواضعة.
- تتمتع آلة السمسمية بتقنية خاصة بالعزف تضفي طابعها على الناتج الصوتي للألحان الشعبية والتقليدية التي تؤديها.
- تقوم آلة السمسمية بدور المرافق للغناء والرقص في التراث الشعبي العقباوي.
- إبراز الشخصيات التي عزفت على آلة السمسمية في العقبة طبقا لتسلسل تاريخي.

التوصيات:

- نظرا لأن مدينة العقبة تمثل المنطقة الرئيسة والوحيدة في الأردن لانتشار آلة السمسمية، فإنني أدعو المؤسسات ذات العلاقة باختيار هذه الآلة رمزا موسيقيا للمدينة.
- متابعة الدعم المادي والمعنوي لفرقة العقبة للفنون الشعبية لما تقوم به من دور في التعريف بالفنون الشعبية الأردنية.
- التوسع في دراسة الخصوصيات العزفية لآلة السمسمية وتقنينها وبما يضمن إمكانية إدخالها إلى مناهج الدراسة في المؤسسات الموسيقية الأكاديمية.

المراجع:

ستراينر،ي. الآلات الموسيقية الشعبية و الموسيقا الآلية، ج1، موسكو،1987 ، ص. 132 (باللغة الروسية).

غوانمة، محمد.2004 ، الربابة العربية. مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 20، العدد3ب، جامعة اليرموك، إربد،الأردن.

ماتسييفسكي، أ.منهجية دراسة الآلة الموسيقية، المسائل الملحة في علم الفولكلور المعاصر. لينغراد. 1980

المنزلاوي،عبدالله كرم، 1993، التراث الشعبي في العقبة، جمعية عمان المطابع التعاونية، عمان، الأردن.

رسالة ماجستير مقدمة للمعهد العالي للموسيقى العربية , القاهرة 1995م، انظر ايضا لفهد الشعيبي بحثه المقدم للندوة العلمية الاولى للموسيقى اليمنية بعنوان (الآلات الموسيقية المستخدمة في مصاحبة الغناء الشعبي بمنطقة تهامة) بتاريخ 29-27 يوليو 1997م , ص 16 و 44-42 و 55-54، وانظر أيضا: الأغنية الشعبية بمنطقة تهامة بمحافظة الحديدة باليمن , رسالة دكتوراه مقدمة للمعهد العالي للموسيقى العربية , القاهرة 2001م

الخضيرات، نادية. فلكلور العقبة : صبغة الساحل تطغى على ترانيمه. جريدة الدستور، العدد 14785 ، 2009

أنظر الدراس، نبيل، حتر، صخر. 2006 ، آلة السمسمية في الأردن- ورقة عمل لمقدمة إلى الملتقى العالمي الأول لآلة السمسمية في العقبة

الدراس، نبيل، حتر، صخر. 2006 ، آلة السمسمية في الأردن- ورقة عمل لمقدمة إلى الملتقى العالمي الأول لآلة السمسمية في العقبة.

الملتقى الأول لآلةالسمسمية في مدينة العقبة عام 2006م.

الدراس،نبيل. طبازة، خليل.2006، جمالية المهباش في التراث الفني الأردني . مجلةأبحاث اليرموك،المجلد 22 ،العدد 4، جامعة اليرموك،إربد- الأردن.

Hornbostel E.M.,Sachs C. Systematic der Musikinstrumente.- Zeitschrift fur Ethnologie, 1914.No 4.

التعليقات الختامية (Endnotes)

(1) العقبة مدينة أردنية تقع على ساحل البحر الأحمر في في جنوب الأردن وتبعد عن العاصمة الأردنية عمّان حوالي 380 كلم. وتتميز مدينة العقبة بأنها المنفذ البحري الوحيد للأردن، وهي تقع على رأس خليج العقبة المتفرع من البحر الأحمر. وتضم المدينة العديد من المنشآت الصناعية الهامة، والمناطق التجارية الحرة. يبلغ عدد سكان المدينة حوالي 100.000 نسمة.

(2) ستراينر،ي. الآلات الموسيقية الشعبية و الموسيقا الآلية، ج1، موسكو،1987 ، ص. 132 (باللغة الروسية).

(3) غوانمة، محمد.2004 ، الربابة العربية. مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 20، العدد3ب، جامعة اليرموك، إربد،الأردن.

(4) الدراس، نبيل. طبازة، خليل.2006، جمالية المهباش في التراث الفني الأردني.مجلة أبحاث اليرموك،المجلد 22 ،العدد 4، جامعة اليرموك،إربد- الأردن

(5) الملتقى الأول لآلة السمسمية في مدينة العقبة عام 2006

(6) ماتسييفسكي، أ.منهجية دراسة الآلة الموسيقية، المسائل الملحة في علم الفولكلور المعاصر. لينغراد. 1980

(7) المنزلاوي،عبدالله كرم، 1993، التراث الشعبي في العقبة، جمعية عمان المطابع التعاونية، عمان، الأردن.

(8) رسالة ماجستير مقدمة للمعهد العالي للموسيقى العربية , القاهرة 1995م، انظر ايضا لفهد الشعيبي بحثه المقدم للندوة العلمية الاولى للموسيقى اليمنية بعنوان (الآلات الموسيقية المستخدمة في مصاحبة الغناء الشعبي بمنطقة تهامة) بتاريخ 29-27 يوليو 1997م , ص 16 و 44-42 و 55-54، وانظر أيضا: الأغنية الشعبية بمنطقة تهامة بمحافظة الحديدة باليمن , رسالة دكتوراه مقدمة للمعهد العالي للموسيقى العربية , القاهرة 2001م

(9) أيضا يكون وضع الأوتار معكوساً عندما يكون العازف اشول فتصبح الأوتار الأغلظ في الأسفل .

(10) Hornbostel E.M.,Sachs C. Systematic der Musikinstrumente.- Zeitschrift fur Ethnologie, 1914.No 4.

(11) الخضيرات، نادية. فلكلور العقبة : صبغة الساحل تطغى على ترانيمه. جريدة الدستور، العدد 14785 ، 2009

(12) الثلاثية، قالب موسيقي آلي يشبه الدولاب في الوظيفة ؛ إذ انه يعزف قبل بداية الاغنية ، ويمكن استخدامه كلازمة موسيقية بين المواويل.وهو عبارة عن مقطوعة موسيقية قصيرة لا تتجاوز عشر مقاييس ثنائية الميزان . وعلى ما يبدو أن أهل العقبة يطلقون عليه هذا الاسم لانه يتكون من ثلاثة عناصر ، العزف على السمسمية ، الإيقاع ، والتصفيق المركب.أنظر الدراس، نبيل، حتر، صخر. 2006 ، آلة السمسمية في الأردن- ورقة عمل لمقدمة إلى الملتقى العالمي الأول لآلة السمسمية في العقبة لكون طبيعة بعض الأعمال في العقبة تتعلق بالصيد والبحر وتختلف عن باقي مناطق المملكة .

(13) القطيرة : وهي المركب كبير الحجم الذي كان يستخدم لرحلات الصيد الطويلة .

(14) الطيران : كلمة عقباوية تعني الطارات ومفردها طار ، وهي آلة إيقاعية .

(15) الحرايب : الحروب